صرخة في وجه الطوفان الرقمي: معركة الهوية في عصر الخوارزميات

10 أغسطس 2024

فكر وتحليل

11 دقيقة قراءة

www.saudieinstein.com

صرخة في وجه الطوفان الرقمي: معركة الهوية في عصر الخوارزميات



في زمنٍ أصبحت فيه الهواتف الذكية أكثر ذكاءً من أصحابها، وغدت الشاشات الصغيرة بوابات عملاقة لعوالم لا حدود لها، نجد أنفسنا أمام معضلـة وجوديـة: كيـف نحـافظ علــــ هويتنــا الســعودية فــي خضـم هــذا الطوفــان الرقمـــي الجارف؟

لنكن صرحاء؛ إننا نواجه حرباً صامتة على عقول أبنائنا وبناتنا. حـرب لا تُسـتخدم فيها الـدبابات والصواريخ، بـل أسـلحة أشـد فتكاً: الخوارزميات والهاشتاغـات. إنهـا معركـة لا تــدور رحاها في ميادين القتال، بل في غرف النوم وعلى شاشات الهواتف.

دعوني أضع أمامكم صورة واقعية لما نواجه. تخيلوا معى سارة، طالبة الثانوية السعودية البالغة من العمر 17 عاماً. تستيقظ على إشعار من تيك توك يقترح عليها فيديو عن "حرية الجسد". تفتح إنستغرام لتجد إعلاناً عن حفلة موسـيقية غربيــة "صاخبــة" تنــادى بتجربــة "المثلية". أثناء الفطور، تشاهد مسلسلاً أمريكياً على نتفليكس يصور العلاقات المثلية وكأنها أمر طبيعى. في المدرسة، تتصفح تويتر لتجد هاشتاغ #لا_للحجاب يتصدر الترند. في طريق العـودة، تسـتمع إلـــى بودكاســت يســخر مــن "رجعيــة" المجتمعــات المحافظــة. وقبــل النــوم، تقضى ساعة على يوتيوب تشاهد فيديوهات

عن "الإلحاد العلمس".

هذا ليس سيناريو خيالياً، بل واقع يومي لكثير من شبابنا.

خذوا هذه الاحصائيات الموثقة والمفجعة:

السعودية:

- -فــي ينــاير 2023، كــان هنــاك 29.10 مليــون مســتخدم لوسائــل التواصــل الاجتمــاعي فــي السـعودية، أي بنسـبة 79.3٪ مـن إجمــالي عــدد السكان1.
- في بدايـة عـام 2024، بلـغ عـدد مسـتخدمي الإنترنت في السعودية 36.84 مليون، مع معدل

انتشار الإنترنت 99.0%.

كانت السـعودية موطنًا لــ 35.10 مليــون مستخدم لوسائل التواصل الاجتماعي في يناير 2024، أي ما يعادل 94.3% من إجمالي عـدد السكان.

-متوسـط مـدة الاسـتخدام اليـومي لوسائـل التواصـل الاجتمـاعي يصـل إلـى 3 ساعـات و 6 دقائق.

كيـف نفسـر هــذه الاحصائيـات بلغـة الأرقـام الصارخة؟ الجواب: أن مارك زوكربيرغ وتيم كوك وملاك جوجـــل وبقيـــة "عتاولـــة التواصـــل الاجتمـاعي" ومنصـات البـث مثـل "نيتفليكـس" وشقيقاتها؛ أصبحوا أكثر تأثيراً على أبنائنا من آبائهم ومعلميهم وأئمة مساجدهم مجتمعين!
لكن دعونا نتوقف للحظة ونسأل أنفسنا: ما
الذي يجعل هذه المنصات قوية لهذه الدرجة؟
الإجابة تكمـن فـي كلمـة واحـدة: الخوارزميـات.
هذه البرامج الذكية التي تحلل كل نقرة، كل
إعجاب، كل ثانية تقضيها في مشاهدة فيديو،
لتقـدم لـك المزيـد مـن المحتـوى المشـابه. إنهـا
أشبه بتاجر مخدرات ماهر، يعرف بالضبط الجرعة
التى تحتاجها لتبقى مدمناً.

هذه الخوارزميات ليست مجرد سطور برمجية عابرة، بل هي أفاعٍ رقمية سامة، تتسلل بخبث إلى عقول شبابنا، تنفث سمومها الفكرية في صمت قاتل. إنها تحول هويتنا الوطنية الراسخة من حصن منيع إلى قلعة رملية هشة، تتآكل أمام أمواج التسونامي الرقمي الهادر. وفي كل نقرة، في كل تمرير للشاشة، في كل إعجاب وتعليق، نرى جزءًا من تراثنا يذوب، وقطعة من قيمنـــا تنجـــرف فـــي بحـــر العولمـــة الرقميـــة اللامتناهي.

لنأخذ مثالاً تقنياً بسيطاً: خوارزمية "التوصية" على يوتيوب. تبدأ بمشاهدة فيديو عن الرياضة، فتقترح عليك فيديو آخر عن الرشاقة، ثم عن أنظمة الحمية، ثم عن "قبول الجسد"، وقبل أن تدرك، تجد نفسك تشاهد محتوى يروج لأفكار غريبة عن "الحرية الجسدية" تتعارض مع كل قيمنا. هكذا، خطوة خطوة، تقودك الخوارزميات إلى حيث تريد أنت.

والأخطـر مـن ذلـك هـو مـا يسـمى بــ "غـرف الصـدى" الرقميـة. حيـث تحيطـك الخوارزميـات بمحتوى يؤكد معتقدات مفروضة عليك فقط وبتــدرج وذكـاء، ممـا يخلـق فقاعـة معلوماتيـة تعزلك عن الآراء المخالفة. تخيل شاباً سعودياً بـدأ يشـك فــي عقيـدته، فتغذيـه الخوارزميـات بمحتوى إلحادي باستمرار، حتى يصبح الإلحاد بالنسبة له حقيقة مطلقة لا جدال فيها!

لكن دعونا لا نستسلم للعويل والنحيب. فكما قيـل: "البــاب اللـــي يجيــك منــه الريــح، ســده واستريح". وهذا بالضبط مابدأت السعودية في فعلــه فيمــا يبــدو أنهـا "تجربــة لأثبــات المفهــوم POC". فحجــب خاصــية البــث المبـاشر فــي تـــك

تـوك كـان خطـوة جريئـة فـي الاتجـاه الصـحيح. نعم، أثارت الخطـوة جدلاً، لكنها فتحت الباب أمام إبــداع محلــي تمثــل فــي تطــبيق "جــاكو" السعودى.

"جاكو" ليس مجرد تطبيق، إنه صرخة استقلال رقمية في وجه الاستعمار التكنولوجي. إنه يثبت أننا قادرون على صنع بدائل تحترم قيمنا وتلبي احتياجات شبابنا. لكن هل يكفي تطبيق واحد لمواجهـة طوفـان الغــزو الثقــافي القــادم مــن وادى السيليكون؟ بالطبع لا!

ما نحتاجه هو ثورة رقمية سعودية شاملة. ثورة تبـدأ مـن المـدارس، حيـث نعلـم أطفالنــا كيـف يفكرون، لا كيف يستهلكون. ثـورة تمتـد إلـى الجامعات، حيث نطور "مختبرات الهوية الرقمية" لدراسة وتفكيك الخوارزميات الغربية. تخيلوا لو أن جامعة الملك سعود أنشأت قسماً لـ "هندسة الخوارزميات الأخلاقية"، يطور خوارزميات تحترم قيمنـا وتراثنـا. أليـس هـذا أولـى مـن اسـتيراد خوارزميات مصممة لمجتمعات أخرى؟

لذا، أقترح خطة من ست نقاط لمواجهة هذا التحدى:

 المناعة الرقمية": لنطور مناهج دراسية تعزز التفكير النقدي وتبني "جهاز مناعة فكري" ضد الأفكار الدخيلة. ليكن هدفنا أن يكون كل طالب سعودي قادراً على تفكيك أي محتوى رقمي وتحليله نقدياً.

2. "السـيادة الرقميــة": لنســتثمر فــي تطــوير منصــات وتطبيقــات محليــة تحتــرم قيمنــا وتعــزز هويتنــا. فكمــا نســعى للاكتفــاء الـــذاتـي فــي الغـــــــذاء والسلاح، علينـــا أن نســـعى للاكتفـــاء الذاتــي في التكنولوجيا. ولنستفد من التجربة الصينية والروسية بذلك.

3. "الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع": لندرب "جيشـاً" مــن الســفراء الرقمييــن لنشــر ثقافتنــا وقيمنا عبر الإنترنت. فلماذا لا نصدّر قيمنا كما نصدّر نفطنا؟

 الشبـاب الرقمـي" يضـم ممثليـن عـن الشبـاب لمناقشة السياسات الرقمية وتطويرها.

5. "الابتكار الأخلاقي": لنطور خوارزميات ذكية تحمـي القيـم وتعـزز الهويـة. فلمـاذا لا نطـور خوارزمية "ذكاء اصـطناعي سـعودي" تساعـد في الإفتـاء وتعليم الـدين وتكريـس الوطنيـة والعـادات الأصـيلة وكشـف السـبهات ومواجهـة التحديات بطريقة عصرية؟

6- "سيادة البيانات" : فرض استضافة بيانات السعوديين في الأراضي السعودية وهضوعها للأنظمة السعودية، وتجربة الاتحاد الأوروبي تستحق النظر والاهتمام.

ولنكن واضحين: هذه الخطوات ستؤثر حتمًا

علـــى صورتنــا الذهنيــة، خاصــة مــع الغــرب. سـيتهموننا بـالانغلاق والرجعيــة. لكـن علينـا أن نسألهم: ألـم تفرضوا أنتم قيـودًا علـى شركـات التقنيــة الصــينية بحجــة الأمــن القــومي؟ ألــم تطوروا أنظمة رقابة متطورة لمحاربة ماتسمونه الإرهاب؟ فلماذا يُمنع علينا ما هو مباح لكم؟

إن قضيـة سـيادة البيانـات تـبرز هنـا كأولويـة قصــوس. فاســتضافة بيانــات مواطنينــا داخــل المملكة ليست ترفًا، بل ضرورة وطنية. أتدرون أن اكثر من 95% من بيانات السعوديين مخزنة علــس خــوادم أمريكيـة وصــينية؟ هــذا يعنــي أن المخابرات الأجنبية لديها صورة أوضح عن عاداتنا واحتياجاتنا من حكومتنا نفسها! ألا يستحق هـذا

وقفة جادة؟

تخيلوا معي "مركز المعلومات الوطني"، يحوي كــل بيانــات المــواطنين الســعوديين. هــذه البيانــات، إذا أُحســن اســتغلالها، ســتمكننا مــن تطـوير خــدمات حكوميـة أكثـر كفـاءة، وتحسـين الرعايـــة الصــحية، وحتــس التنبــؤ بالاحتياجــات المســتقبلية لمــدننا وشعبنــا. ألا يســتحق هــذا الحلم الاستثمار فيه؟

لكن الأمر لا يتوقف عند حد الخدمات. إن سيادة البيانات هي قضية أمن وطني بامتياز. فقد رأينا كيف تم استغلال يوتيوب في الحرب الروسية الأوكرانيــة، حيــث تــم حجــب الروايــة الروســية بالكامل والترويج للرواية الأوكرانية. هذا ما دفع روسـيا لحجـب يوتيـوب بـالأمس. ألا يثيـر هــذا تســاؤلات حـول مـدس اعتمادنـا علــس المنصــات الأجنبية؟

وماذا عن التطبيقات التي تُستخدم لتعكير السلم الاجتماعي؟ ألم تحجب روسيا وفنزويلا تطبيق "سيجنال" لهذا السبب؟ وفي المقابل، نرى فيسبوك ويوتيوب يتعاونان بشكل فاضح مع السلطات البريطانية لمنع نشر أي منشورات حول أحداث العنف الحالية في بريطانيا. بل إن هذه الشركات تقدم عناوين من ينشرون هذه المنشـورات للحكومـة البريطانيـة، التـي تقـوم باعتقالهم على الفور.

ولا ننسى الواتس اب؛ الذي يستخدم خاصية التشفير ولا يملك مفاتيحه إلا "العيون الخمس"، واضطـروا صـاغرين أن يعطوهـا الهنـد بعـد أن هددت بححيه.

هذا يكش أن "حرية الكلمة" التي يتشدق بها الغـرب هـي كذبـة موجهـة للـدول غيـر الغربيـة فقـطـ أمـا حيـن يتعلـق الأمـر بأمنهـم الـوطني، فإنهـم لا يتورعـون عـن ممارسـة القمـع المنظـم بأبشع صور النفاق السياسي.

فإذا كانت الـدول الغربيـة، بكـل ديمقراطيتهـا المزعومـة، تتخــذ إجـراءات صارمـة لحمايـة أمنهـا الرقمـي، أفلا يحق لنا نحن، كدولة ذات سيادة، أن نتخـذ الإجراءات اللازمة لحماية هويتنا وأمنن؟ وكما قال المتنبي: "على قدر أهل العزم تأتي العزائم". فهل نحن أهل عزم في هذا العصر الرقمي؟ الإجابة لا تكمن في أقوالنا، بل في أفعالنا. في كل نقرة على الماوس، في كل سطر برمجة نكتبه، في كل تطبيق نطوره.

وأختم: إذا كان أجدادنا قد نجحوا في الحفاظ على هــويتهم فــي عصــر الغــزو العســكري والاستعمار التقليـدي، فهـل سـننجح نحـن فــي الحفاظ على هويتنا فـي عصـر الغـزو الرقمــي والاســتعمار الافتراضــي؟ الإجابــة تكمــن فــي أيـدينا، وفــي عقولنا، وفــي "إرادتنا الجمعيــة" كامـة تـأبى الذوبان فــى بحــر العولمـة الرقميـة

المشبوه.

0854854594873

موضوع مرتبط : بريطانيا تهدد باعتقال ايلون ماسـك بسـبب تغريـداته عـن أحـداث الشغـب ببريطانيـا، وعـدم التعـاون "التـام" مـن منصـته للتعتيم الإعلامي عن الشغب في بريطانيا! https://x.com/BRICSinfo/status/182233